



مكانة علوم القرآن وتأثيره علي تطوير التوثيق العلمي للعلوم الإسلامية

محمد محسن علي المغامس
جامعة الشهيد مدني اذربيجان
كلية الالهيات والمعارف الاسلامية

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة ماهية علوم القرآن الكريم ومكانتها المركزية بين سائر العلوم، مسلطة الضوء على تاريخها المشرق وجهود العلماء القيمة في التأصيل والتصنيف عبر العصور. ينظر إلى علوم القرآن كمرآة عاكسة لتأملات المسلمين المنهجية ومحاولاتهم الاستكشافية في فهم الوحي الذي يعد المرجع الأساس للعقيدة تتمثل مشكلة البحث في الحاجة لضبط تحديد "ماهية علوم القرآن" وما يندرج تحتها من فنون ذات دلالة في فهم المصادر التشريعية، خاصة مع وجود خلط لدى البعض في استيعاب فروعها وتشعباتها؛ إذ ذهب الإمام السيوطي إلى أن علوم القرآن تستغرق العلوم كافة (العلمية والعملية) اعتمدت الدراسة على المنهجين التاريخي والوصفي لتتبع نشأة هذه العلوم واستجلاء طبيعتها وأحكامها التشريعية. وخلصت الدراسة إلى أن مكانة علوم القرآن تأتي في الصدارة لتعلقها بأصل التقديس، وأن التحدي الحضاري الذي واجه الأمة هو الذي حفز العلماء لابتكار مصطلح "علوم القرآن" كوعاء جامع لكل ما يخدم النص القرآني من قريب أو بعيد، مما أسس لقواعد التوثيق العلمي الرصينة.

الكلمات المفتاحية: علوم القرآن ، التوثيق العلمي ، المنهجية الإسلامية ، الدراسات القرآنية ، التأصيل المعرفي.

The Status of Qur'anic Sciences and Its Impact on the Development of Scientific Documentation in Islamic Studies

Mohammed Mohsen Ali Al-Mughamis
)mmaa1996d@gmail.com(

Abstract

This study examines the nature of Cullum al-Quran (Qur'anic Sciences) and its central position among the Islamic sciences, highlighting its historical development and the significant scholarly efforts devoted to its systematization and classification throughout the centuries. Qur'anic Sciences are regarded as a methodological framework reflecting Muslim scholarly engagement with the Qur'an as the primary source of creed and legislation. The research problem lies in the need to precisely define the concept of "Qur'anic Sciences" and to determine the disciplines encompassed within it, particularly in light of conceptual ambiguity and the expansion of its scope in classical scholarship. Notably, classical scholars such as al-Suyūṭī considered Qur'anic Sciences to encompass a wide range of theoretical and practical disciplines. The study adopts both the historical and descriptive methodologies to trace the emergence of Qur'anic Sciences and to analyze their epistemological foundations and legislative relevance. The findings conclude that Qur'anic Sciences occupy a leading position due to their direct connection to the sacred source of Islamic law. Furthermore, the civilizational challenges faced by the Muslim community contributed to the development of the comprehensive term "Qur'anic Sciences" as an inclusive framework encompassing all disciplines serving the Qur'anic text. This development established rigorous foundations for scientific documentation and methodological verification within Islamic scholarship.



Keywords: uranic Sciences; Scientific Documentation; Islamic Methodology; Qur'an Studies; Epistemological Foundations.

مقدمة البحث

الحمد لله الذي جعل القرآن للقلوب ضياءً، وللأمة عزاً ومناراً، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلام، وعلى آله وصحبه الذين استمسكوا بالوحي فكانوا خير أمة أخرجت للناس، وبعد تنبؤ علوم القرآن الكريم ذروة السنام في منظومة المعارف الإسلامية؛ فهي أسمى العلوم قدراً، وأصدقها قيلاً، وأعظمها أثراً وتكمن شرفية هذه العلوم في شرف موضوعها، وهو "كلام الله عز وجل"، فهي الروح السارية في جسد الشريعة، والمنهج الذي يضبط للمسلم فهمه وتدبره لآيات الذكر الحكيم. وقد تبارت قرائح العلماء - سلفاً وخلفاً - في التأليف والتصنيف، فجاءت مدوناتهم شاملة ودالة على قيمة هذا العلم، ومجسدة للرابطة الوثيقة التي تجمع بين العقل المسلم ومصدر هدايته الخالد ولما كان القرآن الكريم هو الأصل الكلي للعقيدة الإسلامية، والمصدر الأول للتشريع، فقد استقطب اهتمام المفكرين والعلماء عبر العصور؛ لا ككتاب تعبد فحسب، بل كمنطلق لكفاءة تشريعية ومنهج حياة. وقد امتد تأثيره الروحي والمعرفي ليكون المحرك الأساس لتدوين سائر العلوم الأخرى، حيث وضع اللبنة الأولى لضبط النقل وتحقيق الرواية إن هذه المكانة المقدسة للقرآن في قلوب المسلمين ليست مجرد عاطفة، بل هي عقيدة راسخة أثمرت مدرسة علمية فريدة، كان الفضل في تأسيسها للصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - الذين أدركوا بعمق بصيرتهم أهمية التدقيق في علوم القرآن وفهم سياقاته، فكانوا الرعيل الأول الذي أرسى قواعد هذا العلم، ليصبح حصناً حصيناً يحفظ للنص القرآني جلاله، وللتوثيق العلمي هيئته ودقته.

أولاً: أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على الجانب المنهجي لعلوم القرآن، وذلك من خلال: إبراز الريادة الإسلامية: بيان كيف سبق علماء المسلمين غيرهم في وضع أسس "نقد المصادر" وتوثيق النصوص توضيح التكامل المعرفي: كشف العلاقة العضوية بين علوم القرآن وعلوم الحديث والتاريخ واللغة، وكيف استلهمت هذه العلوم دقتها من منهج التعامل مع الوحي الرد على الشبهات: تقديم برهان علمي على انضباط النقل والتدوين في الفكر الإسلامي، مما يدحض دعاوى العشوائية في تدوين التراث.

ثانياً: أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

تحديد مفهوم التوثيق العلمي في سياق علوم القرآن. رصد الأثر المباشر لعلوم مثل (القراءات، رسم المصحف، والمكي والمدني) في ضبط آليات النقل. تحليل الدور الذي لعبه "الإسناد" في علوم القرآن كأداة توثيقية انتقلت لاحقاً لكافة الفنون الإسلامية. بيان كيف ساهمت هذه العلوم في حفظ الهوية المعرفية للأمة الإسلامية عبر القرون.

ثالثاً: مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في التساؤل الرئيس التالي:

إلى أي مدى ساهمت القواعد المنهجية لعلوم القرآن في تأسيس وتطوير معايير التوثيق العلمي للعلوم الإسلامية الأخرى؟ وينبثق عن هذا التساؤل أسئلة فرعية: كيف تحولت "الدقة القرآنية" إلى منهج عام في نقد الروايات؟ هل كان لتدوين القرآن وجمعه أثر في نشأة علوم التراجم والطبقات؟ ما هي السمات التوثيقية التي تفرقت بها علوم القرآن عن المناهج التوثيقية في الحضارات الأخرى؟

رابعاً: منهج البحث

سيعتمد البحث على المنهج التحليلي والتاريخي، وذلك عبر: يتبع القواعد التوثيقية الموزعة في بطون كتب علوم القرآن (مثل الإتقان للسيوطي والبرهان للزركشي) (التحليل: ربط هذه القواعد بتطبيقاتها في العلوم الأخرى كعلم الحديث وعلم الجرح والتعديل، لبيان أوجه التأثير والتأثر المنهج التاريخي: لرصد تطور آليات التوثيق منذ عهد النبوة وصولاً إلى عصر التدوين.

المبحث الأول: المفاهيم والمصطلحات



المطلب الأول: مفهوم العلم في اللغة والمصطلحات الإسلامية

الفرع الأول: المفهوم اللغوي للعلم :

إن الأصل اللغوي للمعرفة هو الفهم والإدراك وهي في البداية صفة يمتلكها الشخص، فيطلق عليه حينها اسم عالم. ومن خلال الممارسة والتجربة، تتحول هذه المعرفة إلى ما يسمى بالفطرة، فوصف الشخص بأنه عالم. (1) ويفرق بعض العلماء بين المعرفة والفهم، انطلاقاً من فرضية أن المعرفة إدراك شامل أو مُركَّب، بينما الفهم إدراك بسيط وجزئي. ومن هنا جاء القول: "عرفت الله، لا عرفته" (2) ويفهم معنى "المعرفة" على أنه إدراك الشيء في جوهره الحقيقي، بينما يُفهم "فهمه كما هو موجود في سياقات مختلفة". ويسعى الفلاسفة إلى ترسيخ الصورة في الذهن (3).

الفرع الثاني: مفهوم العلم في المصطلحات:

يعرف علماء الدين المعرفة بأنها صفة يمتلكها من يمتلكها. ويزعم علماء المادية أن المعرفة تتكون من يقينيات تنقل فقط عن طريق الحواس، يعرف علماء الشريعة الإسلامية المعرفة بأنها معرفة الله وآياته وأفعاله تجاه عباده. وقد وسَّعوا معناها، فذكروا أنها تشمل معرفة السلوك في العبادات والعادات الإسلامية، وأنها تصلح الجوانب الباطنية للعقائد والأخلاق الإسلامية. (4)

إن انفتاح المعرفة وشموليتها لا يتوافقان مع تعريفها الدقيق، فالتعريف لا يُحدد إلا الظاهر. ولذلك، نجد اختلافاً مبدئياً حول إمكانية تعريف المعرفة قال الامدي: اختلف علماء الكلام في تعريف المعرفة. فمنهم من قال باستحالة تعريفها، ومنهم من قال... إن العلم معرفة جوهرية، وقد عرّفه بعضهم تعريفاً دقيقاً، وبالتالي يمكن يعرف العلم بأنه عبارة عن صفة يحصل بها التمييز بين حقائق المعاني الكلية حصولاً لا يتطرق إليه احتمال النقيض. (5)

1. والعلم، وإن عسر تعريفه، إلا أن كل إنسان يشعر به، ويحصل عليه، ولا يفهم تعريف الشيء بقدره ما يهم الحصول عليه، ومن وجه آخر يعرف العلم بأنه نوعان نظري، وعملي، وكذلك عقلي وسمعي، وبالتالي فإن أشرف العلوم ما ازدوج فيه العقل والسمع، وأصطب في الرأي، والشرع وعلم الفقه وأصوله من هذا القبيل. (6)

2. وربما عاد السبب في إقامة تلك التفرقة بين العلوم إلى أن مفهومها الزمن التاريخي يمتد من أصل إلى غاية، فالأصل عند بدء الوحي، والغاية هي اليوم الآخر، اعتماداً على أوامر القرآن ونواهيهِ وتفضيل بعضها على بعض، حتى أصبحنا لا ندرك العلاقات الكاملة بين العلوم التي كانت متعادية في الظاهر، كالفقه وعلم الكلام والفلسفة. (7)

الفرع الثالث: مفهوم علوم القرآن الكريم:

من خلال ما سبق بيانه نجد أن القرآن الكريم يعرف العلم بأنه المعرفة، كما جاء في قوله تعالى: (وعلم آدم الأسماء) (8)، حيث إن القرآن الكريم يمتاز بجميع الخصائص، فما من علم لم يعلم في كتاب الله باعتبار أن علوم القرآن الكريم تعد فن من الفنون المعروفة منذ بداية الدعوة الإسلامية إلى يومنا الحاضر. ومن هنا يمكن أن يتمثل الهدف الأساسي لكتاب الله تعالى في هداية الناس ودلائتهم على الطريق التي ضلوا عنها، ويحثهم الدائم للخلاص، وشغلهم الكبير الشاغل للوصول إلى السعادة الدائمة، والفوز الحقيقي، والسلام الشامل، وكل ما في القرآن الكريم من أحكام وحكم وأمثال وعبر وقصص وعظات وغيرها، إنما أريد بها الهداية والتوفيق بقوله تعالى: (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْفَى) (9) ويمكن القول بأن مصلح علوم القرآن صار دالاً على مجموعة من العلوم الدينية والعربية باعتبارها تبحث في مجال واحد غير إنها تتوزع على جوانب مختلفة من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: نشأة علوم القرآن الكريم

لقد كان فهم العرب للقرآن الكريم فهماً دقيقاً وعالياً؛ لأنهم أهل لغة أدب وشعر وبيان وفصاحة، لذلك لم تكن اللغة التي نزل بها القرآن خافية أو غريبة عنهم؛ بل كانت مما يفهمونه حق الفهم ويعلمونها جيداً لأنها لغتهم التي كانت ينطقون بها ويتمجدون بها، ثم إنهم فهموا المراد من القرآن الكريم وفهموا فيه المساواة بين العبد وسيدهِ وبين جميع الرعية؛ لذلك نفروا منه وقاموا بمحاربة هذا الدين الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، فكانت حرباً ضد الدين بأسره بما فيه كتاب الله تعالى "القرآن الكريم".



قال ابن جزئ الكلبى : " لقد فهم العرب من القرآن دعوة الخلق الى عبادة الله وإلى الدخول في دينه، وهذا يستدعي : بيان العبادة التي دعي الخلق إليها ، وذكر البواعث على الدخول فيها وترددهم إليها". (10) ومن هنا كانت المعركة التي شنّها كفار قريش على القرآن وعلى دين الإسلام؛ لأنهم فهموا القصد من القرآن الكريم ودين رب العالمين. ثم إن القرآن الكريم لم يكن كباقي الكتب السماوية فهو دين دعوة وهداية وعلم وهو إلى جميع الخلق ليس خاصاً بملة دون أخرى.

فقد احتوى القرآن على علوم كثيرة أثبتتها آياته الكريمة، ففيه العقائد والأحكام والشرائع وأحوال الأمم السابقة والعلوم والحديث عن الفلك والكون وكيف نشأ وفيه القصص التي عزز القرآن ذكرها بالأدلة العقلية تارة والنقلية تارة أخرى، فهو في آيات يذكر العقيدة والحكم والشرع وغير ذلك مباشرة، وفي بعضها الآخر نجد القرآن الكريم يحاكي القلوب والعقول ويحفز فيها القوة على البحث ويحرك فيها الهمة لإثبات قدرة الخالق عز وجل في مخلوقاته في الأرض وفي السماء.

ومن هنا اشتغل العلماء في القرآن الكريم واعملوا فيه العقول للاستفادة مما حواه من علوم وفنون وآداب وتاريخ وعبر ومواعظ، والعلوم التي جاءت فيه إنما كانت مذكورة في آياته واضحة جلية لمن أراد البحث فيها والغوص في لذة معانيها، قال تعالى: { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا } (11) وقال تعالى: { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (12)، وقال تعالى: { وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا } (13)، وقال تعالى: { بِالْبَيِّنَاتِ وَالرُّبْرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (14)، وقال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُوحَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (15)، وغيرها من الآيات الكريمة التي دعت الخلق إلى التفكير في هذا الكون وما فيه من عجائب من خلق الله تعالى وإلى أعمال العقل بما يدور حولنا والتي كان القرآن في جميعها هو الحكم الفاصل والمرجع في فهمها، ومن هنا كانت نشأة علوم القرآن الكريم وتطورها عصرًا بعد عصر.

على أن هذه العلوم ما كانت لتتنحصر تحت نوع واحد أو فن واحد أو علم واحد؛ بل تعددت وتنوعت لتشمل الكثير من العلوم والفنون، قال ابن جزئ الكلبى : " وأن الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فناً من العلوم وهي: التفسير القراءات الأحكام النسخ الحديث القصص التصوف أصول الدين، أصول والفقه اللغة، النحو والبيان". (16)

على أن علوم القرآن كانت قد بدأت قديماً في عصر الخليفة أبي بكر، عندما بدأ بجمع القرآن الكريم، وكان هذا التطور في علوم القرآن واضحاً وجلياً في عصر الخليفة عثمان. لقد بدأت علوم القرآن بالتطور منذ عهد الخليفة الراشدي عثمان ابن عفان، وسمي الخط الذي رسم به القرآن بالرسم العثماني، ثم بعد ذلك انتشرت خطوط النسخ والرقعة والكوفي والفارسي وغيرها، وقد كان العرب في صدر الإسلام يتلون القرآن تلاوة صحيحة سلفية فلما اختلطت الألسنة أمر علي بن أبي طالب عليه السلام بوضع ما يصون الألسنة عن الخطأ فألف أبو الأسود الدولي (17) وكان أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في عهده يتساءلون فيما بينهم عن معاني القرآن الكريم فكان أهل البصيرة منهم يحفظون القرآن ويفهمونه ويعلمونه غيرهم من الصحابة والتابعين. (18)

وقد كان أهم تلك العلوم التفسير، فكان هو المقصود بنفسه وسائر العلوم أدوات تعين عليه وتتعلق به أو تتفرع منه، وأما القراءات فإنها بمنزلة الرواية من الحديث ومنها المتواترة والمشهورة الشاذة، وأما أحكام القرآن فهي ما ورد فيه من الأوامر والنواهي وقد صنف فيها الكثير، وأما النسخ فقد وقع في القرآن منه كثير فظهر علم الناسخ والمنسوخ (19). وهكذا تفرعت العلوم وتنوعت واتسعت إلى تلك الأنواع الكثيرة.

المطلب الثالث: أنواع علوم القرآن

اختلف العلماء في تحديد علوم القرآن الكريم اختلافات شتى؛ فمنهم من يرى أن علوم القرآن ثلاثة أنواع ومنهم من يرى أنها سبعة وأربعون نوعاً. (20) ومن العلماء من جعل لعلوم القرآن ثمانين نوعاً. (21) كانت قد توسعت من تلك الأنواع القليلة اليسيرة الأولى، وما زالت تلك العلوم بازدياد وتكاثر؛ لأن القرآن الكريم كنز لكل العلوم، وكتاب فيه الحكمة والبلاغة والبيان وعلوم الكون والفلك والطب والرياضيات والفيزياء



وعلوم الحياة وغيرها من العلوم، قال تعالى: { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (22)

وإذا أردنا أن نفهم القرآن الكريم وندرس آياته علينا أن نلم بعلومه كي نعلم حقيقة النص وما يراد من آياته لنقف عليها ونعمل بما فيها من أحكام وشرع على أحسن وجه، وأرى أن أهم علوم القرآن التي تعين على فهم آياته وتدبرها هي:

الأول: علم أسباب النزول، قال ابن دقيق العيد: " بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن، وقال ابن تيمية معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب ". (23)، وهو نوع مهم في تدبر الآيات وفهمها.

الثاني: علم جمع القرآن وترتيبه، فيه التثبت من مصدر ديننا ودستورنا الأول القرآن الكريم، وكيف جمع على عهد النبي عليه الصلاة والسلام، وكيف تم جمعه فيما بعد على عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم. الثالث: علم النسخ والمنسوخ وفيه مراعاة الشريعة الغراء حال المؤمنين في التدرج في الأحكام الشرعية.

الرابع: علم القراءات القرآنية وعلم التجويد: إذ به يعلم كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم على الصورة التي نزل بها ليصل إلى الحكم الصحيح في الآية ويقف على الفهم غير المخل فيها. قال ابن الجزري (24):

إذ واجب عليهم محتم
قبل الشروع أولاً أن يعلموا
مخارج الحروف والصفات
ليلفظوا بأفصح اللغات. (25)

المبحث الثاني: مكانة علوم القرآن الكريم في قمة جميع العلوم المطلب الأول: مكانة علوم القرآن الكريم

تعرف مكانة علوم القرآن الكريم في الجانب المقدم من العلوم؛ وذلك لأنها تتعلق بدراسة القرآن الكريم باعتباره أصل التقديس في العقيدة الإسلامية، قال الشافعي: كما أن القرآن أفضل من أي كلام سواه، فعلومه أفضل من كل علم عداه. (26)

قال الحسن البصري؛ مكانة علم القرآن ذكر لا يعلمه إلا الذكور من الرجال، وأصبح علم القرآن هو الأساس في العلوم، أو في مفهوم العلم، قال الزركشي: وكل علم من العلوم فنترع من القرآن، وإلا فليس له برهان (27)) وقد صار مصطلح علوم القرآن دالاً على مجموعة من العلوم الدينية والعربية، فإذن تبحث كلها في مجال واحد هو القرآن الكريم، ولكنها تتوزع من حيث زاوية بحثها على جوانب مختلفة من القرآن، فهي تدرس القرآن الكريم في كيفية إنزال القرآن، وتتطرق إلى تاريخه في أسباب النزول، وتبين مراحل جمعه، وتوضح وجوه قراءاته في علم القراءات، وتشير إلى النسخ والمنسوخ، وتدل في علوم الإعجاز، وتبحث في دلالة القرآن في علم التفسير وغيره.

المطلب الثاني: مكانة علوم القرآن الكريم على جميع العلوم

تتنوع مكانة علوم القرآن الكريم بتنوع زوايا النظر إلى القرآن الكريم، بحيث تعطي علوم القرآن مختلف الجوانب في المكانة القرآنية، ومما يدل على ذلك بروز الكثير من العلماء في هذا الفن، أذكر منهم ما يلي:

1. الطبرسي 548هـ، فهو له تفسير بعنوان: "مجمع البيان في علوم القرآن"، فقد تكلم فيه من عدة جوانب وفنون، بحيث اشتمل على علم القرآن واللغة، وبين غوامضه ومشكلاته، ومعانيه ووجهاته، وأسباب نزوله وقصصه وآثاره وحدوده، إضافة إلى بيان أحكامه وحلاله وحرامه.

2. الزرقاني من خلال كتابه: "مناهل العرفان في علوم القرآن"، حيث جعل لهذا العلم مكانة يعرف بها، إذ كان مرجعاً لكثير ممن ألفوا في هذا الموضوع. تكلم على مخطوط البرهان في علوم القرآن؛ لعلي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي 430هـ، حيث استعرض بعض أجزاءه، فوجده يعرض الآية الكريمة بترتيب المصحف، ثم يتكلم عليها من علوم القرآن ثم يتبع ذلك بعنوان: القول في المعنى والتفسير، ولم يذهب على طريقة ظم النظائر والأشباه تحت عنوان واحد لجمع نوعاً واحداً، بل ذهب على طريقة النشر والتوزيع تبعاً لانتشار الألفاظ المتشاكلة في القرآن وتوزيعها.



3. الشافعي: قال بأن علوم القرآن الكريم كثيرة، فمن آياته ما هو محكم، ومتشابه، وكذلك فمنها الناسخ والمنسوخ، ومنها العام والخاص. (28)

4. الواحدي 427هـ: إن علوم القرآن غزيرة ومعطياتها تعد جمة كثيرة إلى ما لا نهاية، حتى يقصر عنها القول، وقد سبقت إلى مجموعات تشتمل على أكثرها. (29)

5. الطبري 548هـ: تكلم عن مكانة علوم القرآن الكريم من خلال تفسيره، فقال: ابتدأت بجمع أنواع هذا العلم، وفنونه، وما يحوي نصوصه من علم قراءاته، ولغاته، وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيتها ومدنيها، ثم ذكر الاختلاف في عدد الآيات، ثم ذكر فضل تلاوتها، ثم أقدم في كل آية الاختلاف في القراءات، ثم ذكر العلل والاحتجاجات، ثم ذكر العربية واللغات، ثم ذكر الإعراب والمشكلات، ثم ذكر أسباب النزول، ثم ذكر المعاني والأحكام والتأويلات والقصص والجهات ثم ذكر انتظام الآيات. (30)

وهنا ينبغي الإشارة إلى أن مرجعية الحوفي في التأليف تعد معروفة عند الكثير ممن سبقوه من العلماء، مثل: الطبري، والطبرسي، حيث ذهب في ذلك مسلك الحوفي في التأليف من حيث تناول الآيات القرآنية من وجوه شتى. وأخيراً بعد مرور زمن من التأليف في بيان مكانة علوم القرآن الكريم، وصلت مؤلفات كثيرة تحمل في عنوانها مصطلح علوم القرآن، مثل: كتاب فنون أفنان في علوم القرآن؛ لابن القيم الجوزية المتوفى: 751هـ، وكتاب البرهان للزركشي، المتوفى: 794هـ، وكتاب الاتقان للسيوطي المتوفى: 991هـ، وغيرها الكثير ممن كانت لها دور كبير في بيان مكانة ومباحث علوم القرآن.

ومع ذلك، فقد ظل المنهج القديم له الأثر الفعال في بعض المؤلفات الجديدة التي كتبت في هذا العصر، حيث ظلت أغلب الموضوعات تتداول نفسها إلى يومنا هذا، ويدل على ذلك ما كتب الزرقاني في كتابه: مناهل العرفان الذي أخذ صداء وانتشاراً واسعاً على المستوى العلمي، ولا يكاد يخفى عن أحد مما هو مشاهد وملاحظ أن الكثير من العلماء انتهجوا نهجه في التأليف وطريقته المعروفة في كتابه المشار إليه أنفاً.

المبحث الثالث: أثر مكانة الدراسات في منهجية علوم القرآن الكريم المطلب الأول: مكانة الدراسات القرآنية في عصر الصحابة

لقد بلغ الرسول محمد صلي الله عليه واله وسلم بما أنزل إليه، وكان أصحابه يحفظون عنه القرآن، كما أنه أمر بكتابة ما كان يوحى إليه أول بأول، ونهى أصحابه رضي الله عنهم عن أن يكتبوا عنه شيئاً سوى القرآن الكريم، كما أن مجتمع المدينة كان حافلاً بالصحابة الذين صحبوا الرسول، وأخذوا عنه القرآن وسمعوا أحاديثه من قول وفعل وتقرير، وقد مضى العصر الأول من غير كتابة لعلوم القرآن الكريم، ولا سجلت فيه السنة النبوية.

وبقيت الدراسات القرآنية والسنة النبوية تروى مشافهة في العصر الأول، بحيث لم يجد صحابة الرسول رضي الله عنهم ضرورة لتسجيل هذه الدراسات، حيث إن كل ما حرصوا عليه كان جمع القرآن الكريم وكتابته في مصحف، حيث جرى ذلك في أول الأمر على يد الصحابة، ثم جاء بعدهم جيل التابعين، ومن أشهرهم مجاهد وعطاء، وعكرمة، وقتاده والحسن البصري. (31)

واستمر ذلك إلى ما بعد التابعين، حيث جاء جيل آخر يعرف بتابعي التابعين إلى أن جاء عصر التدوين الذي ألفت فيه الكثير من الكتب في مختلف الدراسات القرآنية. (32) كما ألفت الكثير من الكتب في معاني القرآن الكريم وغريبه، فمن أشهر الكتب في معاني القرآن نجد منهج الأخفش، والفراء في كتابيهما معاني القرآن، حيث يعد من الكتب القيمة لكافة الباحثين في علوم القرآن الكريم بصورة خاصة، وغيرهم من المتخصصين في مجال العلوم الإنسانية وكذلك ممن ألف في التفسير وغريب القرآن الكريم أبي عبيدة من خلال كتابه: مجاز القرآن؛ فهذا الكتاب يعد لغة وتفسير، وقد سماه ابن النديم: بغريب القرآن. (33)

المطلب الثاني: مكانة الدراسات القرآنية ما بعد عصر الصحابة:

منذ القرن السادس الهجري إلى يومنا الحاضر فقد كتب العديد من العلماء دراسات وأبحاث حول علوم القرآن الكريم نذكر منهم ما يلي:

1. ابن الجوزي: المتوفى عام 597هـ؛ فقد ألف كتابين في علوم القرآن الكريم، هما:
الأول: فنون الأفنان في علوم القرآن.
الثاني: المجتبي في علوم القرآن



2. أبو شهامة المتوفى: 665هـ؛ فقد ألف كتاباً أسماه المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز.
3. ابن عطية الغرناطي المتوفى 542هـ؛ فقد ألف كتاباً في تفسير القرآن الكريم أسماه: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز".

والموقع أن مفهوم علوم القرآن الكريم كما ندرسها اليوم قد تبلورت في القرن الثامن الهجري على يد الزركشي، المتوفى 794 هـ صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن، ثم تبعه السيوطي، المتوفى 916 هـ من خلال كتابه الإتقان في علوم القرآن، حيث اشتهر كتابه شهرة واسعة لا حد لها في هذا العلم، ومع ذلك؛ فإن التأليف في علوم القرآن لم يقف إلى هذا الحد؛ فقد ألف في هذا العلم العديد من المؤلفين في العصر الحديث، وفي مقدمتهم الشيخ طاهر الجزائري صاحب كتاب: التبيان في علوم القرآن. (34)

نتيجة البحث

في ختام هذا التطواف المعرفي في رحاب علوم القرآن الكريم، ندرك يقيناً أننا أمام أسمى العلوم وأشرفها على الإطلاق؛ فهو كلام الله المعجز، المنزل على قلب سيد المرسلين صلوات الله عليه، وهو الكتاب الذي هيمن على ما قبله من الكتب، وحفظ شرائع الأنبياء، وفصل أحكام العالمين.

لقد أثبتت هذه الدراسة أن القرآن الكريم ليس مجرد نص ديني، بل هو المركز المعرفي الذي انبثقت منه حضارة أمة بأكملها، فكان وما زال هدىً للمتقين، ومنهلاً للباحثين، ودستوراً للحياة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، محفوظاً بحفظ الله القائل: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصل إليها البحث في النقاط الجوهرية التالية الشمولية المعرفية للقرآن:

إن القرآن الكريم هو المصدر الأول والأساس لشتى العلوم والمعارف؛ فما من علمٍ نافع، أو فنٍ مستقيم، إلا وله أصلٌ أو إشارة في كتاب الله. لقد شكلت علوم القرآن "فنّاً جامعاً" منذ بزوغ فجر الدعوة الإسلامية، حيث تفرعت منه علوم اللغة، والتشريع، والاجتماع، والكون، مما جعل "الموسوعية" سمة أصيلة في العقل المسلم المستمد نوره من الوحي مرجعية علوم القرآن في سلم المعارف: تحتل علوم القرآن مكانة الصدارة والسيادة على سائر العلوم الإسلامية؛ وذلك لتعلقها المباشر بكلام الله الذي هو أصل التقديس ومصدر العقيدة. وهذه المكانة جعلت من "منهجية التعامل مع القرآن" معياراً ذهبياً يُقاس عليه مدى انضباط العلوم الأخرى، فلا يُقبل علمٌ يصادم أصول الوحي وقواعده التفسيرية. الاستجابة المنهجية للتحديات الحضارية: أظهرت الدراسة أن تدوين "علوم القرآن" كمصطلح جامع لم يكن ترفاً فكرياً، بل كان استجابة واعية لتحديات حفظ النص ونقله.

فقد استطاع العلماء حشد كل المعارف المتصلة بالقرآن (من مكي ومدني، وناسخ ومنسوخ، ورسم وضبط) في منظومة واحدة، ليصدوا بها محاولات التشكيك ويضعوا قواعد صارمة للتحقيق العلمي تأسيس مدرسة التوثيق العلمي: (إضافة نوعية) أثبتت البحث أن علوم القرآن هي التي وضعت حجر الأساس لما يعرف بـ "التوثيق العلمي"؛ فالدقة المتناهية في ضبط "القراءات" واشتراط التواتر، والحرص على "الرسم العثماني"، أوجدت لدى المسلمين أدوات نقدية متطورة (كالإسناد ونقد الرواية) انتقلت لاحقاً لتوثيق السنة النبوية والتاريخ، مما حمى التراث الإسلامي من العبث التكاملي بين النص والعقل: إن علوم القرآن قدمت نموذجاً فريداً في الجمع بين النص المقدس والاجتهاد العقلي المنضبط، مما ساهم في تطوير أدوات الاستنباط والقياس، وجعل الفكر الإسلامي فكراً حيويّاً قادراً على العطاء في كل زمان ومكان.

الهوامش

- 1- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار صادر، 1415ق، مصدر علم.
- 2- أبو البقاء الكوفي، أيوب بن موسى الحسيني، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد مصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1992م، ص 611.
- 3- الزرقاني، محمد عبد العظيم مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الشام، مصر، 1398ق، ص 14.
- 4- المصدر السابق، ص 14.
- 5- الأمدي، سيف أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الأحكام في أصول الأحكام، دار الاتحاد العربي، مصر، القاهرة، ص 13.12.



- 6- حنفي، حسن، من العقيدة إلى الثورة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص 269؛ السمين، أحمد بن يوسف، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: عبد السلام التونسي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، طرابلس، ط1، 1424هـ، ج 3، ص 794 الأعمش، عبد الأمير، المصطلح الفلسفي عند العرب الهيئة المصرية العامة مصر القاهرة، ط2، 1989م، ص 107.
- 7- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد المستنصفي من علم الأصول، دار صادر، 1995م، ج 1، ص 18؛ وأركون، محمد، الفكر العربي، ترجمة: عادل العواء دار عويدات، ط3، 1975م، ص 20.
- 8- البقرة: 31
- 9- طه: 121
- 10- ابن جزئي الكلبى، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الفكر، بيروت: 2013م، ج 1، ص 6.
- 11- النساء: 82
- 12- الزمر: 27
- 13- طه: 113
- 14- النحل: 44
- 15- الرعد: 3
- 16- ابن جزئي الكلبى، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الفكر، بيروت: 2013م، ج 1، ص 6.
- 17- أبو الأسود الدولي، ويقال: الديلي العلامة الفاضل قاضي البصرة، السهو بن عمرو على الأشهر، ويقال: اسمه عمرو بن سفيان، ويقال: سارق بن السهو، ولد في أيام النبوة، وهو ثقة وكان أول من تكلم بالنحو، قال يحيى بن معين مات أبو الأسود في طاعون الجارف سنة تسع وستين، وهذا هو الصحيح، وقيل: مات قبيل ذلك، وعاش خمسا وثمانين سنة، وأخطأ من قال: توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز.
- 18- البخاري، الكنى، تحقيق السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت، ص 86؛ وابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، ص 94؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء تحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة، بيروت، 9-14هـ: ج 4، ص 81 وما بعدها.
- 19- شرف الدين، صالحه عبدالكريم، القرآن بلاغته وعلومه وإعجازها، منشورات الصفاة، الكويت، ص 162.
- 20- ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ.
- 21- ينظر: السيوطي، جلال الدين، الإتيان في علوم القرآن المكتبة الثقافية، بيروت، 1973م.
- 22- الزمر: 27
- 23- السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج 1، ص 88.
- 24- محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري، يكنى بأبي الخير، كان حافظا قارنا محدثا، وماهرا في المعاني والبيان والتفسير، ألف شرح المصابيح في ثلاثة أسفار، وألف في التفسير والحديث والفقه، وكتاب النشر في القراءات العشر، ومختصره التقريب وتحبير التيسير في القراءات العشر، وطبقات القراء وتاريخهم الكبرى والصغرى، والجوهرة في النحو، كانت وفاته سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة. (الأدنه وي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، 1997م، ص 320.
- 25- ابن الجزري، محمد، متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية، المطبعة والمكتبة المحمودية، مصر، 1385ق، ص 5.
- 26- الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الجيل، 1376هـ، ج 1، ص 6.
- 27- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1376هـ، ج 1، ص 6-8.
- 28- الزرقاني، مناهل العرفان، 1398ق، ج 1، ص 35 - 33.
- 29- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، أسباب النزول، المكتبة الثقافية لبنان، بيروت، 1993م، ص 4.



- 30- الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: هاشم الرسولي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1992م، ج 1، ص 8.
- 31- محمد، عبد السلام، عبد الله، الشريف في علوم القرآن، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت، ص 4.
- 32- الزرقاني، مناهل العرفان، 1398ق، ج 1، ص 8.
- 33- المصدر نفسه.
- 34- علوي، السيد محمد، زبدة الإتقان في علوم القرآن، مكتبة الرشيد، بغداد، 2007م، ص 11.
- قائمة المصادر والمراجع**
١. القرآن الكريم
٢. الأدنه وي، أ. ب. م. (1417هـ/1997م). طبقات المفسرين (تحقيق: س. ب. ص. الخزي). مكتبة العلوم والحكم.
٣. أركون، م. (1975م). الفكر العربي (ترجمة: ع. العواء، ط3). دار عويدات.
٤. الأسم، ع. أ. (1989م). المصطلح الفلسفي عند العرب (ط2). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٥. الأمدى، س. أ. ب. أ. ب. م. (د.ت). الأحكام في أصول الأحكام. دار الاتحاد العربي.
٦. ابن الجزري، م. (1385هـ). متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية. المطبعة والمكتبة المحمودية.
٧. ابن الجوزي الكلبي، م. ب. أ. (2013م). التسهيل لعلوم التنزيل. دار الفكر.
٨. ابن حبان، م. (1959م). مشاهير علماء الأمصار (تحقيق: فلاشهمر). دار الكتب العلمية.
٩. ابن منظور، م. ب. م. (1415هـ). لسان العرب. دار صادر.
١٠. أبو البقاء الكوفي، أ. ب. م. (1992م). معجم المصطلحات والفروق اللغوية (تحقيق: ع. درويش & م. مصري، ط1). مؤسسة الرسالة.
١١. البخاري، م. (د.ت). الكنى (تحقيق: ه. الندوي). دار الفكر.
١٢. الذهبي، ش. (1401هـ). سير أعلام النبلاء (تحقيق: ش. الأرنؤوط & م. ن. العرقسوسي، ج4). مؤسسة الرسالة.
١٣. الزركشي، ب. د. م. (1391هـ). البرهان في علوم القرآن (تحقيق: م. أ. الفضل إبراهيم). دار المعرفة.
١٤. الزرقاني، م. ع. (1398هـ). مناهل العرفان في علوم القرآن. دار الشام.
١٥. السمين، أ. ب. ي. (1424هـ). عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (تحقيق: ع. س. التونجي، ج3). منشورات جمعية الدعوة الإسلامية.
١٦. السيوطي، ج. د. (1973م). الإتقان في علوم القرآن. المكتبة الثقافية.
١٧. شرف الدين، ص. ع. (د.ت). القرآن بلاغته وعلومه وإعجازه. منشورات الصفاة.
١٨. الطبرسي، ف. ب. أ. (1992م). مجمع البيان في تفسير القرآن (تحقيق: ه. الرسولي، ج1). مؤسسة التاريخ العربي.
١٩. علوي، م. (2007م). زبدة الإتقان في علوم القرآن. مكتبة الرشيد.
٢٠. الغزالي، أ. ج. م. ب. م. (1995م). المستصفى من علم الأصول (ج1). دار صادر.
٢١. محمد، ع. س. ع. أ. (د.ت). الشريف في علوم القرآن. دار النهضة العربية.
٢٢. الواحدى، أ. ب. أ. (1993م). أسباب النزول. المكتبة الثقافية.

المصادر بالانجليزية

23. Al-Adnahwi, A. b. M. (1417 AH/1997). *Tabaqāt al-Mufasssīrīn* (S. b. S. al-Khuzaī, Ed.). Maktabat al-'Ulūm wa al-Hikam.
24. Al-A'sam, 'A. A. (1989). *The Philosophical Terminology among the Arabs* (2nd ed.). Egyptian General Book Authority.
25. Al-Āmidī, S. A. A. b. A. b. M. (n.d.). *Al-Ihkām fī Uṣūl al-Aḥkām*. Arab Union Press.



26. Al-Bukhārī, M. (n.d.). *Al-Kunā* (H. al-Nadwī, Ed.). Dār al-Fikr.
27. Al-Dhahabī, S. (1401 AH). *Siyar A 'lām al-Nubalā'* (Sh. al-Arna'ūt & M. N. al-'Arqasūsī, Eds., Vol. 4). Mu'assasat al-Risālah.
28. Al-Ghazālī, A. Ḥ. M. b. M. (1995). *Al-Mustasfā min 'Ilm al-Uṣūl* (Vol. 1). Dār Ṣādir.
29. Al-Samīn, A. b. Y. (1424 AH). *'Umdat al-Ḥuffāz fī Tafsīr Ashraf al-Alfāz* ('A. S. al-Tūnjī, Ed., Vol. 3). Islamic Da'wah Society Publications.
30. Al-Suyūṭī, J. al-D. (1973). *Al-Itqān fī 'Ulūm al-Qur'ān*. Al-Maktabah al-Thaqāfiyyah.
31. Al-Ṭabarsī, F. b. al-Ḥ. (1992). *Majma' al-Bayān fī Tafsīr al-Qur'ān* (H. al-Rasūlī, Ed., Vol. 1). Arab History Foundation.
32. Al-Wāhidī, A. al-Ḥ. 'A. b. A. (1993). *Asbāb al-Nuzūl*. Cultural Library.
33. Al-Zarkashī, B. al-D. M. (1391 AH). *Al-Burhān fī 'Ulūm al-Qur'ān* (M. A. al-Faḍl Ibrāhīm, Ed.). Dār al-Ma'rifah.
34. Al-Zarqānī, M. 'A. (1398 AH). *Manāhil al-'Irfān fī 'Ulūm al-Qur'ān*. Dār al-Shām.
35. Arkoun, M. (1975). *Arab Thought* (A. al-'Awwā, Trans., 3rd ed.). Dār 'Uwaydāt.
36. Ibn al-Jazarī, M. (1385 AH). *Al-Jazariyyah: A Poem on the Rules of Qur'ānic Recitation*. Al-Maḥmūdiyyah Press & Library.
37. Ibn al-Juzayy al-Kalbī, M. b. A. (2013). *Al-Tashīl li-'Ulūm al-Tanzīl*. Dār al-Fikr.
38. Ibn Ḥibbān, M. (1959). *Mashāhīr 'Ulamā' al-Amṣār* (Fleischhammer, Ed.). Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.
39. Ibn Manzūr, M. b. M. (1415 AH). *Lisān al-'Arab*. Dār Ṣādir.
40. Kūfī, A. al-B. (1992). *Dictionary of Terminology and Linguistic Distinctions* ('A. Darwīsh & M. Miṣrī, Eds., 1st ed.). Mu'assasat al-Risālah.
41. Muḥammad, 'A. S. 'A. (n.d.). *Al-Sharīf fī 'Ulūm al-Qur'ān*. Dār al-Nahḍah al-'Arabiyyah.
42. Sharaf al-Dīn, Ṣ. 'A. (n.d.). *The Qur'ān: Its Rhetoric, Sciences, and Inimitability*. Manshūrāt al-Ṣafāh.
43. 'Alawī, M. (2007). *Zubdat al-Itqān fī 'Ulūm al-Qur'ān*. Maktabat al-Rashīd.